Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سؤال الهوية

مقريت
للنشر والمعلومات

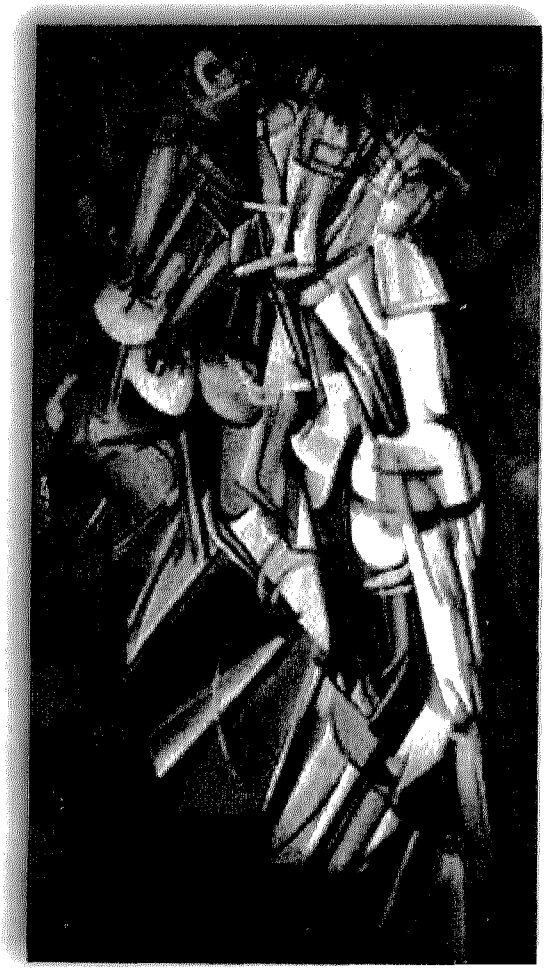

الهوية وسلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة

شريف يونس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سؤال الهوية

الهوية وسلطة المثقف فى عصر ما بعد الحداثة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سلسلة الهوية

إشراف: د. سيد البحراوى

سؤال الهوية

الهوية وسلطة المثقف
فى عصر ما بعد الحداثة

شريف يونس

ميريت للنشر والمعلومات

المدير العام : محمد هاشم

الطبعة الأولى

القاهرة ١٩٩٩.

غلاف وإخراج

شريف يونس

رقم الإيداع / ٩٩/٢٧٨٥

لوحة الغلاف : "عارية تهبط السلالم" رقم ٢ (١٩١٢) للمصور الفرنسى مارسيل دوشامب(١٨٨٧ - ١٩٦٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سؤال الهوية

شريف يونس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحتويات

- مقـــــدمة ٧
- مأزق التنوير بين السلطة والأصولية الإسلامية : تحليل عام ١٧
- أوهام التنوير ٣٦
- الوداع الأخير للحرس القديم :
  أزمة الإنتليجنسيا المصرية وأيديولوجيات الهوية ٤٤
- نمطان من "المثقف" فى عصر ما بعد الحداثة :
  حول كتاب جان–فرانسوا ليوتار : الوضع ما بعد الحدائى ١٠٩
- انبعاث الفينيق ١٢٣
- رسالة إلى هشام قشطة : هيا إلى الانسحاب ١٢٨
- الحلم والواقع :
  حول أيديولوجية الحركة الطلابية الماركسية فى السبعينات
  (عن كتاب "المبتسرون" لأروى صالح) ١٤٠
- حول الحركة الطلابية فى مصر فى السبعينات ١٧٠
- ستة دروس فى التكفير ١٩٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

• اليسار الماركسى فى ظل الناصرية :
دراسة فى تأريخ رفعت السعيد ٢٢٣

• تعقيب منهجى وسياسى ٢٦٧

• تعريف بالمقالات ٣٠٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقـــــدمة

"إن البشرية لا تطرح على نفسها إلا المشكلات التى تستطيع أن تحلها"

كارل ماركس ، مقدمة نقد الاقتصاد السياسى

من البديهى أن المثقف يكتب لينشر ، وينشر ليؤثر على مواقف القراء . ولكن هذه البديهية أقل ما يقال عنها أنها غير دقيقة . فكثيرا ما ينشر كاتب المقال بالذات قبل أن يكتب !! فقد تُطرح عليه المساهمة فى ندوة أو محور من محاور مجلة يحدَّد موضوعها أو موضوعه سلفا من جانب "مسئولين ثقافيين" فى الجهة التى تنظم الندوة أو تصدر المجلة . أما إذا بادر بنفسه وكتب مقالا ، فقد لا يجد له دورية تنشره ، ولا تجمعا ثقافيا يلقى فيه بحثه ليُناقَش . وإذا افترضنا أن الكاتب نشر شيئا على نفقته الخاصة ، فإن ذلك لا يؤدى بالضرورة إلى توزيع كتابه أو دوريته بالفعل ، فالتوزيع بدوره فى قبضة مؤسسات محددة . وحتى إذا تم توزيعه فمن الممكن أن يقابَل بالصمت التام إذا كان موضوعه واتجاهه لا يستهوى عددا من المثقفين من أصحاب المنابر الكبرى .

ذلك كله لأن إنتاج الثقافة عموما إنتاج اجتماعى ، مثله مثل كل إنتاج آخر، فلا هو يتميز بسمو خاص ولا هو نشاط محلق فى السماوات العليا وعالم الحقائق السرمدية ، فهو يدخل بالضرورة فى شبكة اجتماعية واسعة لإنتاج وتداول واستهلاك الأفكار ، يمكن أن نسميها "سوق المعنى" .

ووفقا لأوضاع "سوق المعنى" فإن الكاتب ، قبل أن يتوجه للقراء ، يتوجه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لزملائه من الكتّاب : فهو مشغول بالرد على ما يطرحونه أو تأييده أو إلقاء مزيد من الضوء عليه قبل أن ينشغل بالجمهور . أو إذا شئنا الدقة قلنا أنه يتوجه لجمهوره وفى ذهنه دائما هؤلاء الزملاء الذين يتوجهون لنفس الجمهور .. وخصوصا خصومه منهم : هؤلاء الذين يعتبر أطروحاتهم "خاطئة" أو "مضلّلة" أو "مدمرة للقيم والمثل" التى يؤمن بها ، إلى غير ذلك من الاتهامات التى تثور دائما والتى تشكل جزءا لا يتجزأ من واقع الإنتاج الثقافى .

ويشبه الأمر إلى حد كبير المنافسة بين الشركات . فكل شركة وإن كانت ترغب قبل كل شىء فى البيع "للجمهور" ، والجمهور وحده ، فإنها لكى تحقق ذلك عليها أن تراقب بعين يقظة ماذا تفعل الشركات المنافسة .. ما الذى أدخلته من تعديلات ناجحة على منتجاتها ، وما هى وسائل الدعاية التى تستحدثها ... الخ . وإذا كان ثمة فارق فهو بالتأكيد أن سوق الثقافة هو "سوق للمعانى" ، لا للسلع .. أو أن سلعه هى المعانى . ومكافأة المنافسة فيه ليست أموال القراء ، ولكن عقولهم . ليس المثقف منزه عن الغرض طبعا ، ولكن مكافأته الأولى ، حتى وهو يريد المال أيضا ، هى الشهرة ، هى انتشار أفكاره والتفوق على الخصوم الثقافيين ومؤسساتهم وأهدافهم . وكما تدعى الشركات – بغير نجاح كبير – أنها تريد "إسعاد" المستهلك ، يدعى المثقف – بنجاح أكبر بكثير – أنه يخدم الحقيقة ، وينير العقول ، ويهدى البشر . وكما تدعى الشركات ، حتى إذا كانت تنتج أفخر السلع ، أنها تنتج للجمهور عموما ، يدعى المثقف ، خصوصا عندنا ، أنه يتوجه للشعب أو الأمة أو المسلمين ، ويتغافل عن واقع الحال فى سوق الثقافة الذى ما زال فى بلادنا نخبويا إلى حد كبير ، فى ضوء الأمية الواسعة على الأقل .

أيا كان الأمر فإن هذه المجموعة من المقالات لا تولى اهتمامها الأساسى للادعاءات الشائعة للغاية عن "قوة الكلمة" ، برغم الصحة النسبية لهذه المقولة التى لا يجرؤ المثقفون عادة على تحليل أبعادها ، ولكنها تسلط الضوء على الثقافة كمهنة ، والمثقف كوضع اجتماعى متميز ، وكعضو فى صفوة تنتمى بشكل أو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بآخر إلى الصفوة الحاكمة – سواء كانت تؤيد الحكم أو تعارضه أو حتى ترفع السلاح ضده . وتمثل هذه المقالات محاولة لتشريح واقع هذه الصفوة والمرتكزات التى تجمعها بالصفوة الحاكمة ، وعلى رأسها ما أسميه ثقافة الهوية ، وكشف أبعاد وأسس تلك الأكاذيب الشائعة عن دور المثقف وأهميته واستقلاله وتعبيره عن الوطن أو الشعب أو الدين أو المطحونين ... إلى آخر ذلك .

وجدير بالذكر هنا أن هذه المقالات تشير إلى فئتين مختلفتين من الناس ، هما المثقفين والإنتليجنسيا . ونظرا لتعدد التعريفات المتداولة يجب أن نبدأ هنا بالتنويه بأن المقصود بالإنتليجنسيا – على خلاف معظم التعريفات المتداولة – فئة أوسع بكثير من فئة المثقفين ، تشمل كل القائمين بعمل ذهنى ، إبداعى أو تنظيمى أو مهنى ، مثل الأطباء والمدرسين والمحاسبين والمهندسين والكتاب وموظفى الدولة وكذلك طلبة الجامعات والمعاهد العليا باعتبار مستقبلهم . بينما يُقصد بالمثقفين تلك الفئة التى تعمل على وجه التحديد بالكتابة والخطابة ، سواء باختراع الأفكار أو شرحها أو اختصارها وتبسيطها أو نقدها ، من الكتّاب والصحفيين ومعدّى البرامج الإذاعية والتليفزيونية والفنانين وخطباء المساجد والدعاة وأساتذة الجامعات ، بصرف النظر عما إذا كانوا تقدميين أم رجعيين ، أصوليين أم تنويريين، حكوميين أم معارضين . كما تفترض هذه المقالات أن المثقفين يشكلون داخل الإنتليجنسيا صفوتها élite ، وأن الإنتليجنسيا عموما فئة اجتماعية لها مصالح خاصة بها ، وأن فئة المثقفين ليست مجرد "مُعبِّر" عن فئات اجتماعية أخرى ، ناهيك عن أن تكون ، حسب الأفكار الشائعة عندنا ، معبرة عن أفكار سرمدية مثل دين أو وطن . وبالتالى فإنها تنزع عنها هالة "المنزهين عن الأغراض" التى كانت دائما محل تقديس داخل كل اتجاه ثقافى على حدة (مع محاولة تلطيخ أنصار الاتجاهات الأخرى طبعا) .

غير أن الموضوع الأساسى لهذه المقالات ليس هو "المثقف" ، ولا حتى الإنتليجنسيا ، بل الهوية التى تُطرح بعناوين متعددة يشيع منها الآن الخصوصية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأصالة .. الهوية باعتبارها بؤرة صراعية مركزية فى تاريخ الثقافة فى مصر حتى وقتنا هذا . وفى حدود علمى تطرح هذه المقالات إجابة جديدة على سؤال الهوية. فبدلا من الدخول فى صراعات الهوية بالانحياز لفكرة الهوية المصرية أو العربية أو الإسلامية أو مركب ما منها ، تتجه المقالات إلى تعرية مفهوم الهوية بمجمله ، فتحلله كبؤرة صراعية ، أى كمفهوم مشترك بين أطراف متعددة متصارعة يحرص كل طرف منها على امتلاكه ، بالادعاء بأنه وحده الذى يمثل "حقيقته" ، أى حقيقة الهوية . وتبين المقالات كيف يؤدى تكوين مثل هذه البؤرة الصراعية إلى استبعاد قضايا معينة ، لحساب قضايا أخرى ، وكيف يؤدى ذلك إلى دعم موقف كل طرف من الأطراف المتصارعة . فمن خلال الاتفاق على أهمية الهوية كموضوع للصراع يتم استبعاد غير المشاركين ، واعتبارهم خارج المجال الثقافى "الحق" برمته ، أو خونة ، أو ... الخ . وبالمقابل يستمد كل طرف من أطراف الصراع السائد أهميته كمدافع عن "الحقيقة" مما يشترك فيه مع خصومه الذين يقول عنهم أنهم "يشوهونها" أو "يدمرونها" ، ويدمرون معها مستقبل الوطن ، أو العقيدة ، أو الشعب ، أو المقهورين ، وما إلى ذلك .

وإذا كانت البؤرة الصراعية تكاد أن تكون قانونا عاما للمجال الفكرى والأيديولوجى وغيرهما ، كما سأحاول أن أوضح فى التعقيب الختامى ، فإن احتلال الهوية لموقع البؤرة الصراعية الرئيسية فى الثقافة فى مصر مُحمَّل بمشكلات عديدة ، أهمها تكريس الأوهام حول الدور التمثيلى للمثقف ، باعتباره حارس الهوية المقدسة ، وتكريس مبدأ الوصاية على الجمهور ، سواء بادعاء أنه الابن الأصيل للهوية التى يدافع عنها المثقف أو بالمطالبة بحمايته من "التأثير الهدام" للاتجاهات الثقافية الأخرى ، باعتبارها مدمرة لهويته ، وبالتالى ، وفقا لأطروحات الهوية المختلفة ، لمصيره . وعلى ذلك فإن بؤرة الهوية الصراعية تتميز بأنها روح نخبوية وسلطوية ومتسلطة ، وبالتالى فائقة التسييس ، بمعنى أن اهتمامها الأول مركز على الدولة وثقافتها ، لا على الناس ؛ وعلى السلطة ، لا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الثقافة ؛ إلى حد تسييس الآداب والفنون – الذى أصبح يعتبر أمـرا بديهيـا . وأعتقد أن هذا التسييس الفائق هو المسئول عن جانب كبير من مشكلات الثقافـة التى كثر انعقاد المجامع لمناقشتها بلا نتيجة .

ولا أزعم أننى الوحيد الـذى لاحظـت هـذه المشـكلة ، فالمشـكلات الكـبرى ليس من طبيعتها أصلا أن تتضح فجأة لفرد ما .. بل يكون ظهورها علـى السـطح ظاهرة تؤذن بحلها بوجه أو بآخر .. أو كما يقول ماركس : "أن البشرية لا تطرح على نفسها سوى المشكلات التى تستطيع أن تحلهـا" . والمعتـاد تاريخيـا أن "بومـة مينرفا تحلـق" – كمـا يقـول هيجـل – "عنـد الغسـق" ، بمعنـى أن إدراك الظـاهرة يتزافق مع موتها . وإذا كان عديـد مـن الكتـاب قـد تنبهـوا لخطـورة هـذه البـؤرة الصراعية فإن المنحى الذى تتخذه هذه المقالات يختلـف اختلافا جذريـا ، فهـى لا تسعى لعقد مصالحة بين مختلف أيديولوجيات الهوية المتصارعـة ، مـع الإبقـاء علـى مفهـوم الهويـة ذاتـه سـليما لا يُمَـس ، بـل تسـعى إلى تفكيـك المفهـوم نفسـه ، وتفترض أن عيوبه متأصلة فيه .. كما تفترض أن ثمة ظـروف تاريخيـة تسـمح الآن بالبدء فـى هـذا المشـروع الضخـم ، الضـرورى لجعـل الثقافـة فـى مصـر عصريـة ومنفتحة ، وتخليصها من الكثير من "العُقَد" المتأصلة فيها تاريخيـا . أمـا علاقـة هـذا التوجه بالليبرالية الجديدة فسوف يُناقش فى القسم السياسى من التعقيـب الختـامى

❖

أما عن هذه المقالات فقد آثرت أن أعيـد نشـرها كمـا هـى ، عـدا تعديـلات أسلوبية طفيفة للغاية ، لأنها تمثل فى أغلب الحالات اشتباكا مع قضايا طُرِحت فى أوقات معينة ، وتحتفظ بالتـالى بأهميتهـا "كشـهادة" علـى موقـف متغير مـن هـذه القضايا . فضلا عن أننـى وجـدت أننـى إذا أردت أن أطورهـا سـتتحول غالبـا إلى شىء آخر ، قد يكون أكثر اتساقا ، ولكنه أقل حيوية . ولكن لأغـراض الاتسـاق حرصت على إعادة صياغة النتائج المنهجية والسياسية فى الخاتمـة التعقيبيـة . ومـع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك يوجد استثناء وحيد .. هو مقال "ستة دروس فى التكفير" ، لأن ما نُشر بالفعل هو مسودته . التى حالت ظروف دون تصحيحها . وقد احتفظت له بنفس العنوان برغم أن "الدروس" أصبحت بعد التعديلات سبعة !

وقد رتبت المقالات لنفس السبب ترتيبا تاريخيا حسب وقت كتابتها ، لا وقت نشر ما نُشر منها . أما إذا أراد القارئ أن أساعده على تصنيفها موضوعيا ، فيمكن القول بأن مقالىّ "الوداع الأخير للحرس القديم" (المتفائل بالمناسبة أكثر من اللازم !) و "ستة دروس فى التكفير" ، يُعتبران أكثر المقالات شمولا وتجريدا فى تناول أيديولوجيات الهوية فى علاقتها بالمثقف والسلطة والنزعة النخبوية وطبيعة وأوضاع الإنتليجنسيا المصرية . ويحتوى المقال الأول على عرض سريع لتاريخ أيديولوجيات الهوية على النمط الذى أنتجته فئة الإنتليجنسيا المصرية ، وأسباب الأزمة الممتدة الحالية التى تواجهها .

أما مقال "اليسار الماركسى فى ظل الناصرية" ، فيتناول علاقة الماركسية المصرية بأيديولوجية الهوية الوطنية ، ويشاركه فى ذلك مقال "حول الحركة الطلابية فى مصر فى السبعينات" ، الذى يهتم بصفة خاصة بدراسة أسباب احتلال الطلاب مرة أخرى لمقدمة المسرح السياسى وطبيعة التكوين الأيديولوجى لهذه الحركة وأسباب سقوطها التاريخية .

أما مقالىّ "مأزق التنوير بين السلطة والأصولية الإسلامية" و"أوهام التنوير" فيتناولان طبيعة التنوير المصرى وعلاقته بالسلطة وطابعه النخبوى . ولما كانا ، زمنيا ، من أوائل المقالات فإن قضية الهوية لا تحتل فيهما موقعا بارزا . ويتناول مقال "نمطان من المثقف فى عصر ما بعد الحداثة" مشكلة نخبوية الإنتليجنسيا المصرية فى مقارنة مع طرح ليوتار لمشكلات الثقافة فى عصر ما بعد الحداثة ، وهى مقارنة تشمل نقدا لموقف ليوتار أيضا .

وإذا كان ليوتار يمثل نموذجا للدفاع الليبرالى عن الثقافة فى مواجهة العولمة فإن المقالات الثلاثة الباقية تقدم نماذج ومحاولات لاستكشاف أنماط المقاومة